## محاضرة افتتاحية

## تقديم لعلم الصرف : علم الصرف العربي بين الماهية والمفهوم ، مراجعة ومداخل.....

**تقديم:**

تُعدّ اللغة الوسيلة الأساسية للتواصل الإنساني،فهي تمثل اجتماعية الإنسان وتجسّد تفاعله مع غيره،مما يساعده على التعبير و التأثير و التأثر ،فباعتبار طبيعتها التواصلية و التبليغية كانت و لا تزال مدار اهتمام الباحثين في شتى الاختصاصات منذ عشرات القرون ،وباعتبار أنّ اللغة بناءٌ متكامل ومتناسق كثيرا ما يكون أساسه الصوت ،و الغاية منه إبلاغ الأفكار و المعاني، وبذلك يحصل التجاذب و التواصل بين الأقوام و الثقافات،في وقت يكون رسم المعاني وتبليغها في بُنى لغويةٍ أكبر من الصوت المنطوق، وذلك حين تتفاعل جملة من الأصوات في تجسيد المعاني و الدلالات اللغوية، فكان أن جاءت الأبنية مكونّة من عديد الأصوات في قوالب صوتية، تتناسق في ما بينها لتكوّن كلمات قادرة على تفعيل المنظومة اللغوية لتحقيق الوظيفة التبليغية التواصلية المنشودة ، كما أنها المعول عليها في فهم تعدّد دلالات الكلمة باختلاف الصيغ و الأبنية...

من أجل ذلك كلّه كان علم الصرف....لا سيما وهو من العلوم الشريفة و الضرورية في الدراسات اللغوية بل من أجلّ العلوم وأشرفها..فكان أن أولاه علماء العربية أهمية تليق بمكانته وموضعه في مستوى الدرس اللغوي العربي، فأنتجت جهودهم علما يعرف "بعلم الصرف أو علم التصريف"...له مصطلحاته ومفاهيمه وقواعده التي يتجسد من خلالها التركيب اللّغوي السليم ، فما معنى الصرف و التصريف في قواميس العربية من جهة؟ وما مقصده وحقيقته عند أهل الاختصاص في الاصطلاح؟ ،ما ميدانه؟ وما موضوعه؟ و ما الغرض و الأهمية من دراسته؟ وما هي أشهر الكتب المؤلفة فيه...؟؟؟؟

1 ـ **تعريف الصرف:** من أهمّ المعاني التي وردت بها مادة(ص،ر،ف) في المعاجم العربية: معنى التغيير والتبديل و التحويل....إذ تضمنت مادة الاشتقاق في لسان العرب" عدة معان: فالصرف رد الشيء على وجهه، يصرفه صرفا وهو التقليب...ومصاريف الأمور تخاليفها...ومن تصريف الرياح و السحاب.. فتصريف الرياح تحويلها من وجه إلى وجه ومن حال إلى حال، ..قال الليث:..تصريف الرياح صرفها من جهة إلى جهة...وكذلك تصريف الخيول و الآيات و الأمور...وصرفته في الأمر تصريفا,,,قلبته فينقلب..وصروف الزمان حوادثه المتقلبة من حال إلى حال وصرف الشيء: أعمله على غير وجهه..كأنه يصرفه من وجهة إلى وجهة أخرى...وتصريف الدراهم إنفاقها..والصرف و الصيرفي: النقاد ..وهو من التصرف...."[1]

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان، ط3 ، 1999 ، مادة : صرف .

وقد جاء الصرف و التصريف في القرآن الكريم بهذا المعنى في كثير من آيات الذكر الحكيم ،نحو قوله تعالى:"انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون..." الأنعام [46]، وقوله تعالى:"وتصريف الرياح و السحاب المسخر بين السماء و الأرض..."البقرة [164] ، وقوله تعالى:"و الذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إنّ عذابها كان غراما..."الفرقان [65].

2 ـ **تعريف الصرف اصطلاحا** : جاء في كتاب "شذا العرف" أنّ علم الصرف أو التصريف: "هو تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعانٍ مقصودة لا تحصل إلا بها، كاسمي الفاعل و المفعول واسم التفضيل و التثنية و الجمع....."[1]

و التغيير المراد من التعريف هو الذي يَحدث في بنية الكلمة، اعتمادا على عدد الحروف و ترتيبها و حركاتها وسكناتها، وذلك يكون لغرض معنوي، وإذا قصد فيه غرض لفظي فيحدث ذلك بتحويل المفرد إلى المثنى أو الجمع، أو بزيادة حرف أو أكثر أو نقص أو إبدال أو إدغام....."[2]

وقد عرّفه "(عبده الراجحي):..."بأنّه العلم الذي تعرف به كيفية صياغة الأبنية الصرفية،وأحوال هذه الأبنية التي ليست إعرابا ولا بناء..."[3]و المقصود بالأبنية تغيير في بنية الكلمة، ذلك أنّ العرب القدامى فهموا الصرف على انّه دراسة أبنية الكلمة، وهو فهم صحيح في إطار الفهم العام للدرس اللغوي.

وقد حدّ"ابن جني"علم الصرف بخمسة أقسام :زيادة، حذف، تغيير بحركة أو سكون، وبدل، وإدغام..."[4] إذ أنّ علم الصرف هو العلم الذي تعرف به أحوال أبنية الكلمة العربية وقوانين صياغتها، بمعنى اعتناء علم الصرف بالكلمة وتغيراتها في ذاتها...، في حين يعنى علم النحو بالكلمة من حيث علاقتها بغيرها في التراكيب أي الجملة ، ولهذا يقول:" التصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة، والنحو إنما لمعرفة أحواله المتنقلة..."[5].

وجاء في تعريف الصرف عند "ابن مالك:...."التصريف علم يتعلق ببنية الكلمة وما لحروفها من أصالة وزيادة و صحة وإعلال وشبه ذلك..."[6]، وعلى هذا اتسعت مسائل التصريف لتشمل الإبدال و الحذف والزيادة ومعرفة الأبنية، والتصغير و الجمع و النسب و الإدغام وغيرها.....

ليبقى علم الصرف من حيث الاستعمال عند أهل الصناعة من علماء العربية يدل على معنيين متكاملين، أحدهما عملي و الأخر علمي:

---

[1] أحمد الحملاوي ، شذا العرف في فن الصرف ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة، 1967 ، ص :03

[2] أبو علي بن أحمد الفارسي، التكملة في الصرف ، ديوان م ط ج الجزائر ، 1984 ، ص: 9

[3] عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية، بيروت لبنان ،2009 ، ص:07 .

[4] ابن جني، الخصائص، تح محمد علي النجار،، دار الكتب المصرية، القاهرة، د ت ج1 نص:97.

[5] ابن جني، المنصف في شرح كتاب التصريف، تح إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين، القاهرة، 1954 ،ج1، ص:04

[6] ابن مالك ، إيجاز التعريف في علم التصريف، تح محمد المهدي، المدينة المنورة ،ط1 2002 ، ص:58.

**ـ الصرف بالمعنى العملي**:...إنّ الصرف هو تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة لا تحصل إلا بها، كتحويل المصدر إلى اسم الفاعل أو اسم المفعول أو اسم التفضيل أو اسم الآلة.... وفيه يقول "ابن جني:"معنى قولنا التصريف:"هو أن نأتي إلى الحروف الأصول فنتصرف فيها بزيادة حرف أو حرفين بضرب من ضروب التغيير،فذلك هو التصريف فيها..نحو قولك:ضرب"، فهذا أمثال الماضي،فإذا أردت المضارع قلت:يضرب،أو اسم الفاعل قلت :ضارب،أو اسم المفعول قلت: مضروب، أو المصدر قلت: ضربا....أو فعل ما لم يُسم فاعله قلت: ضُرب....وعلى هذا عامة التصرف في هذا النحو من كلام العرب، فمعنى التصريف هو ما أريناك من التقلب بالحروف الأصول لما يراد فيها من المعاني المفادة منها غير ذلك.."[1].

ويكون ذلك بناء على ما جاء في التعريف بتحويل بنية الكلمة من البناء الأصلي إلى أبنية أو هيئات معينة، مما يغير من الدلالة، لأنّ التغيير في البنية هو تغيير في المعنى لا محالة ...رجل إلى رجال....دلالة على الجمع، والى رُجيل ..دلالة على التصغير...لغرض التحقير مثلا.

**ـ الصرف بالمعنى العلمي** : وهو علم من علوم العربية، قدّم له "ابن الحاجب" تعريفا علميا دقيقا حيث يقول:"التصريف هو علم بأصول تُعرف بها أحوال الكلمة، أبنية الكلم التي ليست إعرابا ولا بناء..."[2]، أي أنّ هذا العلم يضم مجموعة القواعد العامة التي تدرس الكلمات في أبنيتها ، وليس من خلال علاقاتها ببعض "التركيب" ، ليشرح "الرضي" هذا التعريف فيقول:..." إنّ كلمة أصول إنّما يعني بها القوانين الكلية المنطبقة على الجزئيات كقولهم مثلا:كلّ واو أو ياء إذا تحركت وانفتح ما قبلها قلبت ألفا.."[3].

و المقصود بالأبنية وبالبناء بنية الكلمة وتركيبها ..وطبيعة الكلمة..ووزن الكلمة....، أمّا كيفية صياغة الأبنية فهي الطرائق التي تذكر في أبوابها المختلفة بغية التوصل إلى المعاني....لأن الصرف اصطلاحا كما بين الاختصاصيون" علم يعنى بالكلمة المجردة من دون سواها في كيفية صياغتها لتفيد وتحقق معنى...أو هو البحث عن أحوالها العارضة من صحة وإعلال وإبدال وإدغام وغيرها.....

**4 ـ ميدان علم الصرف:** يدرس علم الصرف النشاط اللغوي، فهو يتناول مستوى محددا من مستويات هذا النشاط ألا وهو مستوى الكلمة المفردة،أي باعتبارها غير مركبة مع غيرها...وبما أنّ هذا العلم يعنى بأحوال الكلمة وتغييراتها المختلفة حال إفرادها وفق زنات"أوزان"معينة، لم يدخل في حيزه ما لا يقبل التغيير .... وبذلك يخرج من مجاله جميع الكلمات الثابتة على حال واحد لا تتغير،،لذلك اختص علم الصرف بدراسة:

---

[1] ابن جني، التصريف الملوكي، مطبعة شركة التمدن الصناعية، ط1 ، د ت ،ص: 7 ،8

[2] الرضي الاسترابادي، شرح الشافية لابن الحاجب، تح محمد نور الحسن وآخرون ،دار الكتب العلمية بيروت 1982 ،ج1 ،ص: 10

[3] المرجع نفسه، ص: 11 ،12

ـ دراسة تلك الألفاظ :من حيث تلك الأحوال كالصحة و الاعتلال و الأصالة والزيادة ونحوها.....ويختص بالأسماء المتمكنة و الأفعال المتصرفة.."[1] ، وبذلك لا يتناول بالدراسة الأفعال الجامدة نحو:ليس ونعم وبئس وعسى.....، ولا الحروف جميعها كحروف الجر و حروف العطف....أما عدا هذين النوعين من الكلمات فلا يدرس في هذا العلم إلا في أحوال محدودة، إذ ما ورد من تثنية في بعض الأسماء الموصولة أو أسماء الإشارة وجمعها وتصغيرها فهو صوري لا حقيقي..."[2]، ليخرج من اختصاص علم الصرف :

1 ـ الأسماء المتوغلة في البناء كالمبنية أصالة:مثل الضمائر (أنا أنت أنتما...)، أسماء الإشارة نحو:هذه ، هذه ، هؤلاء...الأسماء الموصولة :نحو: ما من التي الذي ...، أسماء الاستفهام: نحو كيف أين متى ....وأسماء الشرط: من ، مهما ، أيان.....

2 ـ أسماء الأفعال نحو: هيهات ، صه، مه،.....

3 ـ الأسماء المبنية بناء عارضا كالمنادى مثال:يا زيدُ حافظ على صلاتك....فعلم الصرف يدرسها كغيرها من المعربات ،لأن البناء فيها عارض لا أصيل، في حين ما تمّ ذكره من الكلمات السابقة بأنواعها المختلفة لا يختص بها علم الصرف ، لأنها غير قابلة لأن توزن بالميزان الصرفي....

4ـ أسماء الأصوات : لأنّها حكاية بالصوت ليس لها أصل معلوم، وبذلك تشابهت هذه الأسماء و الحروف في عدم التغيير.." يقول "ابن جني:"الحرف لا يصح فيه التصريف و الاشتقاق لأنها مجهولة الأصول، وإنّما هي كالأصوات نحو: صه، ومه ،ونحوهما..."[3].

**5 ـ أهمية علم الصرف** : يرى "ابن عصفور":... أنّ علم الصرف أشرف علوم اللغة لاحتياج جميع المنشغلين باللغة العربية من نحويّ ولغويّ إليه ، فهو ميزان العربية ، ولأهميته قدّمه بعض العلماء على النحو وغيره من علوم العربية، إذ معرفة الشيء في نفسه ينبغي أن تكون مقدمة على معرفة أحواله، التي له بعد التركيب.." [4]، وهذا ما أكّده "ابن جني" من خلال قوله : "فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف، لأن معرفة ذات الشيء الثابت ينبغي أن يكون أصلا لمعرفة حاله المتنقلة ..."....كما يقول مؤكدا على حاجة العلماء له"...يحتاج إليه جميع أهل العربية أتمّ حاجة ...وبهم إليه أشد فاقة...لأنّه ميزان العربية ..."[5].

---

[1] احمد الحملاوي ، شذا العرف في فن الصرف ، ص: 19

[2] المرجع نفسه، ن ص

[3] ابن جني ، الخصائص، ج1 ،ص:38

[4] ابن عصفور ، الممتع في التصريف، تح فخر الدين قباوة، دار المعرفة بيروت لبنان، 1987 ، ص:14 .

[5] ابن جني، المنصف ، ص:04

ليلخص "أحمد الحملاوي" فائدة وأهمية التصريف بقوله :"...أهمية معرفة وضع صنع الكلم العربية وتحليل أجزائها، وحروفها..ومعرفة ما فيها من محذوف وزائد ،أو تقديم أو تأخير، فيقي المتعلم لسانه من اللحن في ضبط تلك الصيغ ويحسن استعمالها في الكلام ويسلم من مخالفة القياس المخلة بالفصاحة...وهو ما ذكره صاحب الشذا"...صون اللسان العربي عن الخطا في المفردات ومراعاة قانون اللغة في الكتابة..."[1],

**6 ـ أهمّ المؤلفات في علم الصرف :**

لم يكن الصرف في بداية التأليف اللغوي مستقلا عن النحو ، بل كان جزءا منه كما في " .....الكتاب لسيبويه ، المقتضب للمبرد.....،وأول من ألف في الصرف منفصلا عن النحو" المازني في كتابه : "التصريف" ، وقد شرحه ابن جني في كتابه " المنصف" ، ليؤلف "ابن جني" كتابه الذي سماه :"التصريف الملوكي"وقد شرحه ابن يعيش وسماه :"شرح التصريف الملوكي، ثم جاء "ابن الحاجب" وألف كتابه: "الشافيه"....ثم وضع "ابن عصفور" كتابه: الممتع في التصريف، وبعدها "ابن هشام" في كتابه "نزهة الطرف في علم الصرف ، ...ليتبع بعدها بالعديد من الكتب عند المحدثين من أمثال : دراسات في علم الصرف لعبد الله درويش ، و شذا العرف في فن الصرف لأحمد الحملاوي ، و التطبيق الصرفي لعبده الراجحي ، و أسس الدرس الصرفي في العربية لكرم زرندح....وغيرهم كثير.

[1] احمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف ، ص: 19